

أم المؤمنين السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
في شعر الغرب الإسلامي

و. محمد العلمي

الباحث في سطور

الدكتور محمد العلمي d.lamaalmi@hotmail.fr

- ✽ من مواليد سنة 1954م بشمال المغرب.
- ✽ دكتوراه الدولة في الأدب العربي من كلية الآداب بجامعة عبد الملك السعدي. تطوان.
- ✽ رئيس مركز ابن أبي الربيع السبتي للدراسات اللغوية والأدبية.

من أعماله العلمية المنشورة:

- ✽ محمد بن عبد الكريم الخطابي في رحاب الشعر.
- ✽ المرشد إلى ما في القرآن من ثنائيات مثلى في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

مَقَالَتُهُ

التطرق لمكانة أم المؤمنين السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الشعر المغربي والأندلسي وثيق الصلة بباقي محاور هذه الندوة المباركة التي أبى منظموها إلا أن يمكننا من تجديد الصلة ببيت النبوة الطاهر عبر تناول شخصية أم المؤمنين السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من جوانب شتى؛ بيد أن ميزة التناول الشعري لهذه الشخصية الطاهرة هو في جوهره جماع ما ورد في حقها في مختلف العلوم والفنون التي زخرت بها المصادر المزدانة بمناقبها. ومن حسنات الشعر أنه جلى هذه المناقب والسجايا في حياتها أجمل تجلية، وخلد اسمها أسمى تخليد على لسان شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت في هذه الأبيات التي كُفِّرَ بها عما بدر منه في حقها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

حصان رزان ما تزن بريية وتصبح غرثى من لحوم الغوافل⁽¹⁾
فإن كنت أهجوكم كما قد زعمتم فلا رفعت سوطي إلى أناملي
فإن الذي قد قيل ليس بلائط بك الدهر بل سعي امرئ بك ماحل
وكيف وودي ما حييت ونصري لآل نبي الله زين المحافل
بأن لهم فضلا ترى الناس خضعا له بين غار دونه متطال
مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل سوء وباطل⁽²⁾
وحتى تكون الصورة التي تطمح هذه الدراسة إلى تقديمها عن هذه الشخصية التقية النقية الطاهرة موازية للصورة الشعرية البهية التي نسجها لها شعراء الغرب الإسلامي، فقد رسمت لنفسها مساراً من أهم معالمه:

✽ عائشة والشعر.

✽ عائشة في عيون الشعر المغربي والأندلسي.

(1) ديوان حسان بن ثابت ص: 228

(2) روي هذا البيت في سيرة ابن هشام ج 4 ص 40، وفي الاستيعاب لابن عبد البر ج 2 ص 766 بتحوير طفيف تمثل في (طهر) بدل (طيب)، و(بغى) بدل (سوء).

✽ الشعر على لسان عائشة.

عائشة والشعر:

تمهيدا لإبراز المكانة التي تفردت بها أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في شعر الغرب الإسلامي لا بد من استحضار صلتها السابقة بالشعر ولما تَزَلَّ في بيت والدها الصديق، ثم في حضن النبوة مع سيد الخلق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي هذا الصدد، نلغي المصادر التي اهتمت بهذا الجانب من حياة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تذكر أنها كانت على صلة وثيقة بالشعر في سن مبكرة، على صعيدي الحفظ والرواية، إذ يتبين من مجموعة من النصوص أن رصيدها من المحفوظ كان جيدا، وضمنه نجد أشعارا للبيد وطرفة، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت، وأبي بكر شداد بن الأسود، وأبي كبير الهذلي، وصفوان بن المعطل، ومتمم بن نويرة.⁽¹⁾

ويرجع د. الحسين زروق اتساع رصيد أم المؤمنين من حفظ الشعر وروايته إلى عاملين أساسيين:

أحدهما: نشأتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في بيت جمع بين العناية بالأنساب والشعر.

وثانيهما: استكمالها تكوينها العلمي في بيت الرسول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي (كان مشجعا لها على حفظ الشعر وروايته، مثلما كان مشجعا لها على حفظ كتاب الله تعالى كاملا والعناية به، وتعلم الفقه والتفسير)⁽²⁾.

كما أن زواجها بالرسول وهي صغيرة يفيد (أن أغلب محفوظها وما روته من الشعر يعود إلى هذه المرحلة وما بعدها، فقد كان الجو العام مطبوعا بتقبل الشعر والتمثل به من قبل الرسول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا كان له دوره في إقبالها على الشعر وتعلمه).⁽³⁾

وبعد هذه اللمحة الموجزة عن علاقة أم المؤمنين عائشة بالشعر حفظا ورواية منذ بداية ترعرعها، تنتقل إلى الحديث عن موقعها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الشعر المغربي والأندلسي.

(1) انظر نصوص أم المؤمنين عائشة في الشعر والنقد/ جمع وتوثيق وتقديم د. الحسين زروق، ص. 34-37.

(2) نفسه، ص: 42.

(3) نفسه، ص: 38.

السيدة عائشة في عيون الشعر المغربي والأندلسي:

إننا ونحن نتتبع ورود اسمها في مختلف المصادر المغربية والأندلسية، ظفرنا بنماذج شعرية نستطيع من خلال قراءتها بتمعن أن نستجلي الصورة المعبرة عن مكانتها في الشعر المغربي والأندلسي. فهذا الشعر يزخر بباقات متألفة في مدح أعلام الإسلام، وفي مقدمتهم مدح خير الوري المصطفى صلى الله عليه وسلم، وآل بيته الأطهار، وصحابته الكرام.

واللافت للنظر في هذه الباقات الشعرية أن عددا منها وإن كان موضوعه الرئيس مدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فإنه ضم في ثناياه أحيانا، وفي خاتمته أحيانا أخرى، أبياتا في مناقب آل البيت، وأمّهات المؤمنين، والصحابة ⁽¹⁾.

وبالنسبة لأم المؤمنين عائشة، فإننا نجد هذا الشعر قد احتفى بها تارة كما احتفى بباقي أمّهات المؤمنين والصحابة الكرام، وتارة أخرى خصّها بقصيدة فريدة. ومن خلال هذين المستويين سنتبين المكانة التي تبوأها في ديوان هذا الشعر.

لقد حظيت أم المؤمنين عائشة باهتمام شعري لافت في عدد من قصائد المديح النبوي، إذ ورد ذكرها في عدة قصائد ضمن سلسلة أمّهات المؤمنين، كالذي نجده عند:

ابن المناصف (ت - 620 هـ): الذي وصفها بـ (المكرّمة)، إذ منّ الله عليها بأن تكون زوجة للنبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك أكمل عليها سبحانه ما أكرمها به من نعم. جاء ذلك لما كان بصدد الحديث عن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:

ثم تزوج النبي بعدما توفيت خديجة فلتعلما

زوجته سودة بنت زمعة لله ما نيل العلى والرفعة

وبعدها عائشة المكرمة إذ أكمل الله عليها أنعمه ⁽²⁾

(1) انظر: صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم في الشعر الأندلسي، د. محمد العلمي، ضمن بحوث ندوة الصحابة الكرام في تراث المغاربة والأندلسيين، المجلد الأول، ص: 223 - 252.

(2) انظر المعلم الرابع في السيرة النبوية والأعلام المحمدية، القسم الرابع من كتاب الدرّة السنية في المعالم السنية، تح: عبد القادر الشرقاوي، أطروحة مرقونة، مكتبة كلية الآداب - تطوان، ص: 18.

أبو الربيع بن سالم الكلاعي (565 - 634هـ):

ألف أبو الربيع تأليفا بعنوان (نتيجة الحب الصميم وزكاة المنشور والمنظوم) وهو كراسة تحتوي على نظم ونثر في مثال النعل النبوية.⁽¹⁾ قال عنها ابن رشيد: (ومما سمعت عليه [يقصد القاضي أبا العباس ابن الغماز] جزء من تأليف أبي الربيع ابن سالم شيخه في وصف نعل النبي ﷺ ضمنه نظما ونثرا وسماه نتيجة الحب الصميم وزكاة المنشور والمنظوم ورحم الله أبا الربيع لو قال النثر والنظم لكان أنسب للقرينة الأولى).⁽²⁾

وقد وصفه ابن رشيد بقوله: (قصيد طويل)⁽³⁾. وذكر أن مطلعته هو:

يا من لصب يري أشجانه النظر مهما تبدى له من حبه أثر
يفى له الصبر عند النائبات فإن يلح له أثر لم يبق مصطبر
وزاد العبدري في رحلته البيت التالي:

وذاك غير ذميم من مواقفه إذا تعقبه التنقيح والنظر
ويذكر العبدري نفسه أنه قرأ القصيدة على القاضي أبي العباس ابن الغماز وقال:
(وهي أزيد من مائة بيت من غر القصائد وأجزؤها لفظا).⁽⁴⁾

وقال عنها المقري عند إيرادها منها بعض الأبيات نقلا عن الرحالة ابن رشيد إنها (من جملة قصيدته الرائية الطنانة الطويلة التي ختم بها جزءه المؤلف في النعل، ومد فيها الباع وأطال النفس ومد الرسن، وذكر المثال المكرم، ومدح فيها المصطفى ذا الخلق العظيم، وذكر جماعة من أهل السوابق ومن الآل والذرية المطهرين، والزوجات الطاهرات أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أجمعين، وأعلقنا من حبهم بالحبل المتين).⁽⁵⁾

(1) انظر الذيل والتكملة، السفر الرابع، ص: 86.

(2) ملء العيبة، 6 / 22.

(3) ملء العيبة، 6 / 23.

(4) رحلة العبدري: 243.

(5) فتح المتعال في مدح النعال للمقري، تحقيق: عبدالسلام بلدريس ج 2 ص 417. (أطروحة مرقونة بمكتبة بمكتبة كلية الآداب - تطوان).

وعلى الرغم من اكتفائه منها بما ذكره ابن رشيد بلفظه لكونه لم يقف لا على جزئها الأول ولا على تمامها، فإن نص القصيدة أضحى اليوم، ولله الحمد، منشورا كاملا ومتاحا للقراءة والاستثمار.⁽¹⁾

ونكتفي في هذا المقام بعرض الجزء المتعلق بأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن وضمنهن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بصفة أخص، وفي ذلك قال:

وانظم إلى سلك من تهدي الشاء له أزواجه فلهن الشأن والخطر
خديجة البرة العليا مكانتها وزيرة الصدق في الإسلام والوزر
وأم كل بنيه غير من ولدت عقيلة القبط أدى ذلك الأثر
وهي المحياة من جبريل مبشرة بيت در فحمت عندها البشر
وبعدها ابنة أعلى الناس منزلة عند الرسول بما أعلاه مختبر
فتلك عائشة المشهور موضعها من حبه فاعذروها إن عرا أشر
وليس من شأنها لكن مكانتها حري به فليزاييل صدرك الوحر
علامة الدين أم المؤمنين متى يحضرها العلم يضمن سبقها الحضر
وحفصة بنت فاروق الهدي فلها سعي من السر عند الله مدخر
صوامة ونهار الصيف محتمد قوامه والدجى مرخى لها الأزر
وكل أزواجه بالدين مشتمل وكلهن بتقوى الله مؤتزر
وكلهن لنا أم مباركة من كل من ضمت الأبيات والحجر
وما حلاهن بالأوصاف مدركة وكل ما طال منها فهو مختصر⁽²⁾

(1) نشرته الدكتورة حياة قارة في مجلة (دعوة الحق) العدد: 298 / محرم 1414 هـ - يوليو 1993 م.
وبالمناسبة أشكر الباحث المحقق د. عبد الإله أحمد الشعيري الذي مكنتني من هذا العدد.

(2) مجلة دعوة الحق (المغرب) ع: 298 ص: 116-117.

ومن أبرز ما يستأثر بالاهتمام في هذه الأبيات أن الشاعر عمد أولاً إلى إبراز مناقب أزواج النبي ﷺ، كل واحدة على حدة، بصدق وصفاء، ثم أبى ثانياً إلا أن يبرز القاسم المشترك بينهن؛ وهو قاسم مشترك بين الأمة قاطبة، لأنها أجمعت واجتمعت عليه؛ إنه رباط الدين، جبل الله المتين. نجد ذلك ماثلاً بجلاء في عبارات غنية عن التوضيح مثل:

وكل أزواجه بالدين مشتمل

وكلهن بتقوى الله مؤتزر

وكلهن لنا أم مباركة

هن الصون والطهر

خير زيتتهن الدين والخفر.

وإذا نظرنا إلى مناقب أم المؤمنين عائشة في هذه القصيدة الغراء، نجدها متألثة في عقد ثمين، أبى أبو الربيع الكلاعي العالم الشهيد، بعمقه الإيماني، إلا أن تكون درره هي:

✽ شرف محتدها لأنها ابنة أعلى الناس منزلة عند رسول الله ﷺ.

✽ سمو مكانتها لأنها أحب زوجات المصطفى ﷺ.

✽ ريادتها العلمية والدينية، لأنها كانت علامة الدين وأم المؤمنين.

شاعر مغربي أندلسي يعارض رائية الكلاعي:

على الرغم من عدم إيراد المقرئ لرائية الكلاعي كاملة كما سبقت الإشارة، فإنه يذكر أن أحد المغاربة -الذي غاب عنه اسمه - عارضها بقصيدة فريدة اتفق معه فيها في البحر والروي والمنزع وكثير من الألفاظ، أولها قوله:

يا ويح للصب إن يبدوله أثر من الحبيب يهيج أشواقه النظر

يلقى صبوراً على عض الزمان فإن لاحت رسوم له لم يبق مصطر

وقد أورد المقرئ هذه المعارضة كاملة. ولما انتهى من سردها قال: (انتهى ما ألفيته من كلام هذا العالم المغربي الأندلسي رَحِمَهُ اللَّهُ وقد قصد بهذه القصيدة الرائية معارضة قصيدة الحافظ الشهير أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى...) (1).

في هذه المعارضة نجد صاحبها قد نهل من معين رائية الكلاعي لغة ومضمونا، وسار على هديه فخصّ أمهات المؤمنين خديجة، وعائشة، وحفصة، وزينب، وسودة، وأم حبيبة، وميمونة، وهند، وجويرة، وصفية، باعتبارهن خير النساء ومثال العفاف والطهر، بعدة أبيات استهلها بعد مدح الصحابة الكرام بيتين جامعين قال فيهما:

واضمم لسلوكهم أمداح نسوته خير النساء فهن الصون والطهر
وأمهات جميع المؤمنين ومن لهن أسنى الحلى والشأن والخطر (2)
وختمها بأبيات جامعة قال فيها:

وكلهن بحمد الله ملتحف ثوب الحياء فبرد الصون معتجر
فالكل طهرهن الله معتنيا فكلهن بتقوى الله مؤترر
إن كن بالزهد من حلى الدنيا عطلا فحليهن التقى والدين والخفر (3)
وخصّ أم المؤمنين السيدة خديجة ذات المكانة الأثيرة لدى المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبعة أبيات هي:

خديجة عرسه الأولى على لها مكانة عنده ما نالها الأخر
والبرة المرتضاة الأنس حين رأى جبريل في أفق فاغتمه الحذر
وزيرة الصدق في الإسلام ملجأه إذ لا وزير له فيه ولا وزر

(1) نفسه، ص 734.

(2) نفسه، ص 730.

(3) نفسه، ص 730.

هي التي صدقته حين لا أحد مصدق فهي الصديقة الوزر
 وأم أبنائه غير الذي ولدت مارية فكذا أدى لنا الأثر
 وهي التي بشر الروح الأمين بما صحت به بعد تسليم لها البشر
 بيت بجنة عدن من زمردة خضراء لا صخب فيها ولا غير
 ثم انتقل إلى أم المؤمنين عائشة فركز على شرف محتدها، وجلى فضائلها المستمدة من
 كونها ابنة خير الناس، يقصد بذلك أباه وأول الخلفاء الراشدين، بما عُرف عنه من
 صدق ووفاء وعدل وتقوى.

ثم انبرى للحديث عن اشتهاها بعلمها وتقواها؛ هي التي تربت في بيت النبوة
 ونهلت من المعين النبوي الصافي، الذي زادها صفاء ما كانت تتمتع به من حظوة لدى
 سيد الخلق عليه السلام، فقال:

وبعدها ابنة خير الناس كلهم بعد الرسول أبي بكر كما أثروا
 علامة الدين ذات الفضل عائشة فهي التي بالتقى والعلم تشتهر
 إن يحضر العلم في يوم السباق لها يضمن لها سبق مع تبريزها الحضر
 أحظى حلائله المشهور موضعه من حبه فهو حب فيه مفتخر
 فإن تغر فبحكم الحب غيرتها وشدة الحب عذر إن عرا أشر
 وليس من خلقها لكن يغالبها فرط الهوى فليزل من صدرك⁽¹⁾

الشيخ محمد بن فرج السبتى:

نجدته في قصيدته الطويلة التي نحا بها منحى رائية أبي الربيع بن سالم الكلاعي
 السالفة الذكر، يمدح الرسول الكريم وصحابته وآل بيته الأطهار، وأعز
 أقاربه، وأمّهات المؤمنين اللواتي مهد للحديث عنهن بقوله:

(1) فتح المتعال، ج 2 ص: 730.

ولله من أزواجه أمهاتنا فرائد علياء قد أشربن وده

ثم يشرع في تعداد مناقب أمهات المؤمنين مبتدئا بالسيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيقول:
وأكرمهن الدرة الفضة التي بهازين المجد المؤثل عقده
خديجة ذات الجاه إن ينشد امرؤ به الله في أمر تقبل نشده⁽¹⁾

ويليها بذكر السيدة عائشة باعتبارها بنت أبي بكر الذي صدق الرسول وآمن بدعوته
فقال دون سواه صفة (الصدّيق)، واصفا إياها بوصفين لم يجتمعا لغيرها هما (فريدة
نسوان الوجود مناقبا)، و(عليمة أهل العلم):

وعائشة بنت الحبيب عتيق الـ مصدق إيعاد الرسول ووعدده
فريدة نسوان الوجود مناقبا متى ييل ذكر صالح تستجده
عليمة أهل العلم شمسهم التي جلت سدف الجهل المضل وسده⁽²⁾

ابن جابر (ت - 780 هـ):

نجدته في القصيدة الشهيرة التي مدح بها الرسول ﷺ مورّيا بسور القرآن الكريم،
يخصّص بالمدح في الأبيات الأربعة الآتية أم المؤمنين خديجة وفاطمة الزهراء وأبناءها،
ويؤثر بالثناء أم المؤمنين عائشة التي أشار إليها بالتي (أضحت براءتها في الذكر منتشرة)
يقصد تبرئتها من حديث الإفك المذكور في سورة (النور):

أولئك الناس آل المصطفى وكفى وصحبه المقتدون السادة البرره
وفي خديجة والزهرا وما ولدت أذكى مديحي سأهدي دائما درره
عن كل أزواجه أرضى وأوثر من أضحت براءتها في الذكر منتشرة
أقسمت لا زلت أهديم شذا مدحي كالروض ينثر من أكمامه زهره⁽³⁾

(1) نفسه، ص: 258.

(2) نفسه، ص: 259.

(3) نفسه، ج 4 ص: 258، وانظر (رسالتان في السيرة النبوية والمولد الشريف) ص: 41.

نخلص مما سبق إلى أن ورود ذكر اسم السيدة عائشة في النماذج الشعرية التي وقفنا عليها، كان ضمن عقد أمهات المؤمنين وآل البيت النبوي الأطهار وصحابته الكرام. واللافت للنظر فيها أن أصحابها ركزوا على ثلاثة عناصر ميزت أم المؤمنين عائشة هي:

- ✽ كرم محتدها لأنها سليلة بيت أبي بكر الصديق.
- ✽ انتصار الوحي لعفتها وبرائها وتلك شهادة خالدة على طهارتها.
- ✽ نيلها صفة علامة الدين لأنها كانت عليمة بأمور دينها بحكم ترعرعها في حجر النبوة منبع أنوار الهداية الربانية.

الشعر على لسان السيدة عائشة:

بعدما عشنا لحظات مع أم المؤمنين في رياض الشعر المغربي والأندلسي، نتقل إلى نموذج شعري أندلسي فريد أبى صاحبه بمهارة شعرية لافتة إلا أن يجعل الشعر ينساب على لسان أم المؤمنين ليتيح لها إبراز ما حباها الله به من مناقب وسجايا ونعم، دحضت بها مزاعم شائنها وكل من أراد بها سوءا.

وقبل الانتقال إلى أجواء القصيدة لا بأس من وقفة بين يدي النص نستجلي خلالها حياة الشاعر ومكانته، مردفين إياها بتوثيق القصيدة وذكر من اهتم بها من الباحثين المعاصرين.

بين يدي النص⁽¹⁾:

نبذة عن حياة الشاعر ابن بهيج:

تفيد المصادر التي ورد ذكره فيها أن اسمه هو موسى بن محمد بن عبدالله الشهير بابن بهيج، المعروف بالواعظ الأندلسي، يكنى أبا عمران، من أهل ألمرية نزل مصر. كان من أهل العلم والأدب، وله في الزهد وغيره أشعار حملت عنه.

(1) أخص بالشكر الجزيل الباحث المجد يوسف الحزيمري الذي يسر لي الحصول على نسخ من قصيدة ابن بهيج، وأنهو بالباحث العربي الرباحي الذي وفر لي معلومات قيمة استثمرتها في اكتشاف مكنونات القصيدة.

وكان أبو عمر المعروف بابن يمان الش الزاهد ينشد له:
 إنما دنيـاك سـاعة فاجعل الساعة طاعة طاعه
 واحذر التقصير فيها واجتهد ما قدر ساعه
 وإذا أحبيبت عـزا فـالتمس عز القناعه⁽¹⁾

وترجم له المقري ضمن من رحل إلى المشرق بقوله: (موسى بن بهيج المغربي الأندلسي، الواعظ، الفقيه، العالم، من أهل ألمرية، نزل مصر...) ⁽²⁾.

ولم تسعفنا المصادر في معرفة تاريخي مولده ووفاته، بيد أنه كان حيا إلى حدود سنة (496هـ) بدليل ما ذكره ابن خير الإشبيلي عن مخمسته في صفة الحج وأعماله كلها، وقطعة شعر لامية أيضا في الزهد، فقال:

(حدثني بهما الشيخ الوزير أبو جعفر عبدالله بن محمد بن زيدون المخزومي رَحِمَهُ اللَّهُ، مناولة منه لي، قال: حدثني بهما الحاج الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عياش العبدري المرشاني رَحِمَهُ اللَّهُ، قراءة عليه، عن قائلها أبي عمران بن بهيج رَحِمَهُ اللَّهُ، قراءة عليه، لقيه بمصر في سنة 496هـ.) ⁽³⁾.

توثيق النص:

من أوائل الباحثين المعاصرين الذين اهتموا بنونية الواعظ الأندلسي الأستاذ سعيد الأفغاني الذي نشرها في كتابه (عائشة والسياسة) سنة 1365هـ / 1946م، اعتمادا على مخطوط قديم في ملك آل عبيد أصحاب المكتبة العربية بدمشق، ويقدر أن النسخة كتبت في القرن الثامن للهجرة.

وقدم لها بفقرة أشار فيها إلى موضوعها ومصدرها بقوله:

(1) النكمة لكتاب الصلة، ج 2 ص: 151.

(2) نفح الطيب ج 2 ص 220 - 221.

(3) فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص: 414.

(وخير تعبير عن رأيهم فيمن انتقص السيدة خاصة أو أباهها قصيدة اشتهر بعض أبياتها، نظمت على لسان السيدة تحتج لنفسها، وتذكر خصائصها، وتحمل على خصومها وتجادلهم في فضل أبيها. وقد حظينا بها كاملة في مخطوط قديم).⁽¹⁾

ثم نشرها الشيخ عبدالله كنون في العدد السادس من مجلة (المناهل) المغربية، وفي كتابه (أنجم السياسة)، معتمدا في ذلك على نسخته الخاصة، وثلاث مخطوطات موجودة في المكتبة العامة بتطوان، وقدم لها بمقدمة ألقى فيها الضوء على مضمونها وبلاغة منشئها وبراعته الشعرية، لما جعل الشعر ينساب على لسان السيدة عائشة بدءا من البيت الثالث فطفت تحقق الحق وتزهق الباطل بالحجة الدامغة والبرهان الساطع.

ومما جاء في هذه المقدمة:

(هي قصيدة في مناقب أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اشتملت على ذكر فضائلها وفضائل والدها أبي بكر الصديق ومجادلة الخصوم والمبغضين لها المتقولين عليها، ومحاجتهم بالدليل من الكتاب والسنة في إيمان صادق ودفاع حار. وبالواقع التاريخي الذي لا نزاع فيه من سيرتها العطرة وسيرة أبيها الخليفة الأول رضوان الله عليه، وكل ذلك بأسلوب بارع وبيان رفيع، ونظم محكم متين، وإلى هذا وبقطع النظر عن كل اعتبار، فالقصيدة تعبر عن عاطفة إنسانية رفيعة لأنها تتخذ موقف المساندة بجانب سيدة شريفة أثناء أزمة هي أعنف أزمة تمر بها امرأة في حياتها، فتناصح عنها وعن كرامتها حتى تحتفظ لها بسمعتها الطيبة وذكرها الجميل.

ومما أبر به صاحب هذه القصيدة أنه جعلها على لسان السيدة عائشة نفسها، فبعد المطلع الذي يؤذن بمقصوده تخلص في البيت الثاني إلى إعطائها الكلمة، فجعلها هي التي تناظر وتفاخر وتدفع في نحور الأعداء بسلاح الحجة والبرهان الذي يطوقهم الخزي والعار. فلو أنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نطقت فعلا بشعر في الموضوع لما زادت على ما احتوته هذه القصيدة، وهي من هي قوة بيان وشدة عارضة)⁽²⁾.

(1) عائشة والسياسة، ص: 271.

(2) مجلة المناهل (المغرب)، ع 6/6 رجب 1396 هـ - يوليو 1976 م. ص: 25 - 26.

ونظرا لقيمة هذه القصيدة ومغزاها، فقد نالت اهتماما خاصا من باحثين أفادا مما سبق فأخرجها في حلة تناسب مقام من كانت زوجا لخير الأنام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقد قام د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي بتحقيقها وإخراجها بعنوان (قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب أم المؤمنين الصديقة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا).⁽¹⁾

ومما ميز هذا العمل أن صاحبه اطلع على ما سبقه إليه العالمان الجليلان سعيد الأفغاني وعبدالله كنون، ثم عمد إلى نشر نص القصيدة وعزره بهوامش ضمنها شروحا قيمة.

واعتنى بنشرها نظام محمد صالح يعقوبي بعنوان (القصيدة الواضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا).⁽²⁾

وميزة هذا العمل أن صاحبه قام، إضافة إلى توثيق القصيدة وصحة نسبتها إلى ابن بهيج، بإيراد تخميس لها نظمها الشيخ عبدالحميد قدس المكي المتوفى سنة 1334 هـ بعنوان (بلوغ السعد والأمنية في مدح سيدتنا أم المؤمنين المبرأة الصديقة)، ومطلعه:

قف واستمع قولاً عظيم الشأن في مدح زوج المصطفى العدنان
إذ قال عنها مثبت البرهان (ما شان أم المؤمنين وشاني)

(هدي المحب لها وضل الشاني)

بنية النص:

يتكون نص القصيدة من ستة وخمسين بيتا، يمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام:

✽ مطلع يتشكل من البيتين الأولين.

✽ حديث السيدة عائشة عن مناقبها وهي في بيت النبوة (ب: 3: إلى ب: 22)

✽ حديثها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن أبيها أبي بكر الصديق وباقي الخلفاء الراشدين (ب: 23: إلى

ب: 43)

(1) الناشر: مكتبة التوبة، ط1 / 1418 هـ - 1998 م.

(2) الناشر: دار البشائر الإسلامية، 1423 هـ - 2002 م.

✽ حديثها عن باقي مناقبها ودعوة شائنها إلى صلتها وحب أمهات المؤمنين (ب: 44 إلى ب: 54)

✽ ختم القصيدة ببيتين معطرين بأريج الروح والريحان، والصلاة على النبي العدنان (ب: 56.55)

قبسات من جمالية القصيدة:

تعددت ملامح الجمال، مضمونا وشكلا، في هذه القصيدة الفريدة، وحتى نتمكن من ملامسة بعضها عمدنا إلى إبراز ما انطوت عليه من جمال على صعيد معجمها، وضمايرها، وعلاقاتها، وصور بلاغتها، وعناصر إيقاعها الموسيقي.

معجم النص:

من يتأمل بناء القصيدة يجده سيفساء مشكلا من مفردات بعضها ذو حمولة قرآنية، وبعضها ذو صبغة حديثية، وبعضها ذو نكهة خلقية مستمدة من السيرة النبوية العطرة. ولذلك لا تخطئ العين وهي تحيل النظر في خريطة النص اللغوية مدى حضور المتح من المعين القرآني والنهل من النبع النبوي. وقد استطاع الشاعر بحكم رسوخه العلمي وحسه الشعري أن ينبت في فضائها حدائق غلبا وجنات ألفافا، بتلوينات جديدة تبهج العين وتطرب النفس، وهو ما سنقف على بعض قبساته بعد حين.

حقول المتح من المعين القرآني:

تجلى هذا المتح في استمداد مباشر تارة، وضمني تارة أخرى، لمفردات ذات أصل قرآني، نذكر منها خمسة أصناف:

- (1) مفردات الألوهية: الله العظيم. الله. الإله. الرحمن.
- (2) مفردات الدين: الإيمان. حلة الإيمان. الإسلام. دين محمد. بيت الدين.
- (3) مفردات القرآن: القرآن. محكم القرآن. الوحي. وحي الله.
- (4) مفردات النبوة: النبي. رسول الله. خاتم الرسل. محمد. أحمد.

(5) مفردات الملائكة: ملائكة السماء. جبريل. جبريل الأمين.

(6) مفردات قيم الإسلام: الصراط المستقيم . الإحسان . الهداية . الرحمة . الفضل . الرضوان.

وعلاوة على هذه المفردات، زخر النص بكلمات وجل مقتبسة من محكم التنزيل، نذكر منها بصفة خاصة كلمة

(الإفك) المستمدة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾.

و(البراءة) المستمدة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾.

وعبارة (ثانيه في الغار) التي تحيلنا على قوله تعالى: ﴿ثَانِيًا أَتْنِي إِنْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾⁽³⁾.

وعبارة (الله ألف بين ود قلوبهم) التي هي مقتبسة من قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾⁽⁴⁾.

وعبارة (رحماء بينهم) المستمدة من قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرِيَهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾⁽⁵⁾.

وعبارة (لم يخشى لومة لائم) المقتبسة من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِّن يَّرْتَدِدُ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى

(1) سورة النور، الآية: 11.

(2) سورة النور، الآية: 23.

(3) سورة التوبة، الآية: 40.

(4) سورة آل عمران، الآية: 103.

(5) سورة الفتح، الآية: 29.

الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكُفَرِيِّينَ يَجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ عِلْمَ لَوْمَةٍ
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ⁽¹⁾.

وعبارة (نزغة الشيطان) التي فيها مخايل آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ
مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽²⁾.

وعبارة (الله ألف بين ود قلوبهم) مستقاة من قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽³⁾.

والبيت الثالث والأربعون:

وإذا أراد الله نصره عبده من ذا يطيق له على الخذلان

مستمد كله من قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽⁴⁾.

حقول النهل من النبع النبوي:

جرت رقاقة من هذا المنهل كلمات وجل مستقاة من أحاديث نبوية شريفة كالذي
نجدته في المواطن الآتية:

صدر البيت الثامن: (وأناه جبريل الأمين بصورتي) فهو مستند إلى حديث رسول الله
ﷺ الذي رواه البخاري، أن النبي ﷺ قال لها: «أريتك في المنام مرتين أرى أنك في
سَرَقَةٍ من حرير، ويقول: هذه امرأتك فأكشف فإذا هي أنت. فأقول: إن يك هذا من
عند الله يُمِضْهُ»⁽⁵⁾.

وصدر البيت الثاني والعشرين: (وأنا ابنة الصديق صاحب أحمد) مستند إلى ما رواه
البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخي
وصاحبي»⁽⁶⁾.

(1) سورة المائدة، الآية: 56.

(2) سورة فصلت، الآية: 35.

(3) سورة الأنفال، الآية: 64.

(4) سورة آل عمران، الآية: 160.

(5) فتح الباري، ج 7 الحديث: 3895، ص 257. نفسه، ج 9 الحديث: 5078، ص 139.

(6) نفسه، ج 7 الحديث: 3656، ص 21.

والبيت الثالث والعشرون:

نصر النبي بماله وفعاله وخروجه معه من الأوطان

استند إلى قول الرسول ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر: صدق. وواساني بنفسه وماله»⁽¹⁾.

وعجز البيت الواحد والأربعين: (وسبأهم سبب إلى الحرمان) فهو مستند إلى قوله ﷺ: «لا تسبوا أحدا من أصحابي، فلو أن أحداكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»⁽²⁾. وفي رواية أخرى «ما بلغ ...».

ومجمل القول على هذا الصعيد أن جوهر القصيدة اللغوي يتسم بهيمنة قيمة الحب في مقابل لوثة البغض. ففي نطاق الحب نجد سلسلتين من الكلمات:

الأولى كلها محبة: الحب. حبي. محبتي. المحب. حبيبه. محبي. الأوبة. حباني. أحبني. حبني. حبيبي.

والثانية كلها مودة: ود. بر. ألفة. أمان. طيبة. طيب. أطيّب. رعاية. كرامة. وفي حيز البغض نجد ما يلي: الشّاني. يا مبغضي. بالقبيح رَماني. أراد تنقّصي. سبّني. مبغضي. البغض. الأضغان. نزغة الشيطان. منافق طعان. الشنّان. هواني.

العلاقات / الصلات:

عندما نتتبع تجليات هذه العلاقات نجدها متجهة تلقاء ستة اتجاهات:

أولاً: نحو الله عزّ وجلّ؛

وثانياً: نحو الرسول الكريم؛

وثالثاً: نحو جبريل الأمين؛

ورابعاً: نحو الوالد الصديق؛

(1) نفسه، ج 7 الحديث: 3661، ص 24.

(2) نفسه، ج 7 الحديث: 3673، ص 38-39. صحيح مسلم، الحديث: 2541، ص 1266.

وخامسا: صوب أمهات المؤمنين؛

وسادسا: تلقاء شأنها ومُبغضها.

على أن الحاضر الثابت في جميعها هو شخص الرسول الكريم، فهو في صلب جميع العلاقات، سواء مع الله أم باقي الأطراف، ولا ريب فاقتران الرسول بها، منحها بالكيفية التي وضّحتها السيرة النبوية العطرة مكانة تفردت بها عن سائر أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

مع الله:

من منطلق إيمانها بالله وحبها لرسوله جاءت الآيات الدالة على خصوصية علاقتها بالله عَزَّوَجَلَّ ناطقة منذ البدء بكلمة (الله) مقتبسة منها ما أفاء به الله عليها من نعم، ومستضيئة بأنوارها في إبراز حججها الدامغة.

وفي غمرة هذه الأنوار تلالأت عبارات التعلق بالله الواحد الأحد الدالة على شكر نعمه وأفضاله، نقتبس من ذلك مثلاً:

الله زوجني (ب:7)

تكلم الله العظيم بحجتي وبرائي في القرآن (ب:10)

الله خفرتني وعظم حرمتي (ب:11)

الله في القرآن قد لعن الذي بعد البراءة بالقبيح رماني (ب:12)

الله وبخ من أراد تنقصي (ب:13)

الله أحصني بخاتم رسله (ب:15)

الله حببني لقلب نبيه (ب:49)

الله يكرم من أراد كرامتي (ب:50)

الله أسأله زيادة فضله (ب:51).

وحاصل هذا التعلق بالله المتعم، المتفضل، المكرم، الحافظ، المحبب، الحامي، المبرئ، المحسن، أن الله يكرم من أكرمها ويهين من أهانها، ويترتب عليه أنه ما دام الله قد أكرمها وبرأها فإن من لم يتبع هذا السبيل سيكون قد اتخذ سبيل الغي المفضي بصاحبه إلى سوء المصير.

ونجد براعم هذا التعلق متفتحة في جنان الآيات الآتية:

- ب: 7 زوجي رسول الله لم أر غيره الله زوجني به وحباني
ب: 10 وتكلم الله العظيم بحجتي وبراءتي في محكم القرآن
ب: 11 والله خفرتني وعظم حرمتي وعلى لسان نبيه براني
ب: 12 والله في القرآن قد لعن الذي بعد البراءة بالقبيح رماني
ب: 13 والله وبخ من أراد تنقصي إفكا وسبح نفسه في شاني
ب: 15 والله أحصنتني بخاتم رسله وأذل أهل الإفك والبهتان
ب: 49 الله حببني لقلب نبيه وإلى الصراط المستقيم هداني
ب: 50 والله يكرم من أراد كرامتي ويهين ربي من أراد هواني
ب: 51 والله أسأله زيادة فضله وحمدته شكر الهم أولاني

مع الرسول:

قوام هذه العلاقة ميثاقان عظيمان:

ميثاق الزوجية الغليظ؛

وميثاق الوحي الرباني؛

والميثاقان معا من آلاء الله عليها. وقد حفلت القصيدة بعبارات دالة على الميثاقين مثل: زوجي رسول الله. أنا بكره العذراء. محمد في حجره رباني. مرض النبي ومات بين

ترائبي. سمعت وحي الله عند محمد. أوحى إليه وكنت تحت ثيابه. أحبني المختار حين رأي. حب البتول وبعلمها لم يختلف... في إثنان...

وحاصل هذه العلاقة أن فخرها بالانتساب إلى بيت النبوة مرده ما يلي:

- ✽ مرض النبي والتحاقه بربه بين ترائبها.
 - ✽ الرسول هو زوجها الأول والآخر.
 - ✽ هي بكره العذراء.
 - ✽ رباها في حجره وتلك غاية فخرها واعتزازها بصحبته.
 - ✽ سماعها الوحي من جبريل في بيته.
 - ✽ تلقيه الوحي وهي تحت ثيابه فحضرها بثوبه.
 - ✽ اعتبار حب البتول وبعلمها (الرسول) محط إجماع المسلمين، أي إن حبها هو حب للرسول الكريم فمن أحبها فقد أحب سيد الخلق.
 - ✽ اعتبار حب الرسول لها منة إلهية وهداية إلى صراطه المستقيم.
- نجد أريج هذه العلاقة الطاهرة بين أظهر مخلوقين في الوجود متضوعا في أزاهر الآيات الآتية المتلازمة بمفردات (النبي. رسول الله. المختار. محمد):
- ب:6 مرض النبي ومات بين ترائبي فالיום يومي والزمان زماني
- ب:7 زوجي رسول الله لم أر غيره الله زوجني به وحباني
- ب:8 وأتاه جبريل الأمين بصورتي فأحبني المختار حين رأي
- ب:9 أنا بكره العذراء عندي سره وضجيعه في منزلي قمران
- ب:16 وسمعت وحي الله عند محمد من جبريل ونوره يغشاني
- ب:17 أوحى إليه وكنت تحت ثيابه فحنأ علي بثوبه وخباني
- ب:18 من ذا يفاخرني وينكر صحبتي ومحمد في حجره ربابي

ب: 37 حب البتول وبعلمها لم يختلف من ملّة الإسلام فيه اثنان
ب: 49 الله حبيبي لقلوب نبيه وإلى الصراط المستقيم هـداني

مع الوالد الصديق:

جعلت الحديث عن علاقتها بأبيها الصديق امتدادا لعلاقتها بسيد الخلق، ولذلك كان
فخرها بأبيها في موقفين بارزين هما:

❖ موقف صحبته للرسول الكريم فهو: الصديق . صاحب أحمد . حبيبه في السر
والإعلان. نصر النبي بهاله وفعاله. ثانيه في الغار. سبق الصحابة والقراة للهدى...

❖ موقف خلافته للرسول الكريم فهو: الخليفة الذي أقام الدين بعد محمد . وقاتل
مانعي الزكاة. وأذل أهل الكفر والطغيان. وجمع شمل المسلمين...

وحاصل هذه العلاقة أنها سليله صاحب رسول الله، وصديقه، وثانيه في
الغار، وخليفته الأول، المبشر بالرضوان، قاطع دابر الردة، قاهر الكفر والبغي
والطغيان، سباق للهدى والإحسان. والجميل في هذه العلاقة أنها تحيل على موقع
الصديق صحبة الرسول الكريم في حياته وبعد مماته، أي أنها ذات صبغة دينية
خالصة، ولذلك فهي خالية من أي اعتبار دنيوي زائل يحيل على مكاسب مادية أو
امتيازات اجتماعية.

وقد تجلّى ذلك كله في الأبيات الآتية:

19. وأخذت عن أبوي دين محمد وهما على الإسلام مصطحبان

20. وأبي أقام الدين بعد محمد فالنصل نصلي والسنان سناني

21. والفخر فخري والخلافة في أبي حسبي بهذا مفخرا وكفاني

22. وأنا ابنة الصديق صاحب أحمد وحبيبه في السر والإعلان

23. نصر النبي بهاله وفعاله وخروجه معه من الأوطان

24. ثانيه في الغار الذي سد الكوى بردائه أكرم به من ثان
25. وجفا الغنى حتى تخلل بالعبا زهدا وأذعن أيما إذعان
26. وتخللت معه ملائكة السما وأتته بشرى الله بالرضوان
27. وهو الذي لم يخش لومة لائم في قتل أهل البغي والعدوان
28. قتل الألى منعوا الزكاة بكفرهم وأذل أهل الكفر والطغيان
29. سبق الصحابة والقراة للهدى هو شيخهم في الفضل والإحسان
30. والله ما استبقوا لنيل فضيلة مثل استباق الخيل يوم رهان
31. إلا وطار أبي إلى عليائها فمكانه منها أجل مكان
32. ويل لعبدخان آل محمد بعداوة الأزواج والأختان
33. طوبى لمن وإلى جماعة صحبه ويكون من أحبابه الحسان
34. بين الصحابة والقراة ألفة لا تستحيل بنزغة الشيطان
35. هم كالأصابع في اليدين توأصلا هل يستوي كف بغير بنان؟
36. حصرت صدور الكافرين بوالدي وقلوبهم ملئت من الأضغان
43. جمع الإله المسلمين على أبي واستبدلوا من خوفهم بأمان

مع جبريل:

تبدت علاقة أم المؤمنين بجبريل في سياقين مُفعمين بالبُشرى، فقد أتى رسول الله بصورتها فأحبها واختارها زوجها له، وجاءه بالوحي وهي جواره فسمعت وحي الله وغشيها نوره.

وبذلك فإن حاصل هذه العلاقة يتمثل في حقيقتين هما:

❖ زواج الرسول بها كان اختيارا ربّانيا.

✽ سماعها الوحي يتنزل على الرسول هو مباركة ربانية لزواجها بسيد الخلق.
وقد شعت أنوار هذه العلاقة النورانية في بيتين بُثّا في القصيدة بعناية ملحوظة، جاء الأول في معرض الزواج بالنبي:

ب:8 وأتاه جبريل الأمين بصورتي فأحبنى المختار حين رأي
وجاء الثاني في معرض سماع وحي الله بحضرة رسول الله:

ب:16 وسمعت وحي الله عند محمد من جبريل ونوره يغشاني

مع زوجات الرسول:

جاء الحديث عن علاقة أم المؤمنين بباقي أمهات المؤمنين عبر أربعة مستويات هي:

✽ التميز على نساء محمد بصفات بر؛

✽ سبقهنّ إلى الفضائل كلّها؛

✽ إقرارها بكونها طيبة خلقت لطيب، كما أن نساء أحمد أطيب النسوان؛

✽ دعوتها إلى صلة أمهات المؤمنين تجنباً لفقد حلة الإيوان، معتبرة نفسها واحدة منهن بدليل قولها (ولا تحد عنا).

ب:4 إني خصصت على نساء محمد بصفات بر تحتهن معاني

ب:5 وسبقتهن إلى الفضائل كلّها فالسبق سبقي والعنان عناني

ب:47 إني لطيفة خلقت لطيب ونساء أحمد أطيب النسوان

ب:5 صل أمهات المؤمنين ولا تحد عنا فتسلب حلة الإيوان

مع الشائئ/المبغض:

تبلورت العلاقة مع الشائئ عبر مستويين:

أحدهما: مباشر ضاق فيه الخناق على الشائئ المبغض، لأن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، ولذلك وجدنا الذات الشاعرة في القصيدة توظف أفعالا ذات قيمة معنوية

كبرى لأنها تترجم مآل شائى أم المؤمنين المبرأة بنص الوحي الكريم. هذا المآل الوخيم كُثِّفَ في القصيدة وتكشَّفَ في كون الله عزَّجَلَّ:

❖ يلعنُ الشائى المبغض:

ب: 12 والله في القرآن قد لعن بعد البراءة بالقبيح رمانى
❖ ويؤبِّخه:

ب: 13 والله وبَّخ من أراد تنقصي إفكاً وسبح نفسه في شاني
❖ ويذلُّه:

ب: 15 والله أحصنني بخاتم رسله وأذلَّ أهل الإفك والبهتان
❖ ويهينه:

ب: 50 والله يكرم من أراد كرامتي ويهين ربي من أراد هوانى
ولا شك، فمن كانت عاقبته لعنة الله، وتوبيخه، وذله، وإهانته، فقد باء بالخسران المبين، وساء مصيراً.

وثانيهما: ضمني ثوى في حوار افتراضي كانت بدايته جملة النداء (يا مبغضي) في مستهل البيت الثالث، وجاءت نهايته في جملة نداء أخرى مشحونة بتوبيخ في مستهل البيت الثاني والخمسين (يا من يلوذ بأهل بيت محمد) ومقرونة بأمر صلة أمهات المؤمنين، في مستهل البيت الثالث والخمسين (صل أمهات المؤمنين ولا تحد عنا).

ويتوج هذا الحوار مع الشائى بجعل القصيدة برمتها، في البيت الخامس والخمسين، روضة مهداة إليه، وتبصرة تبدد سدف البغض وتزيل غشاوة الجحود، (خذها إليك فإنها هي روضة...).

وبهذا لم يكن الرد على الشائى من جنس زعمه ووهمه؛ بل دعوة بالموعظة الحسنة ابتغاء تقويم انحرافه وإرجاعه إلى سبيل الرشيد. إضافة إلى ذلك، فإن بروزه في إهاب حوار ضمن لنسيج القصيدة الداخلي الانسجام والترابط، لفظاً ومعنى وغاية.

- ب:3 يا مبغضي لا تأت قبر محمد فاليست بيتي والمكان مكاني
 ب:45 من حنبي فليجتنب من إن كان صان محبتي ورعاني
 ب:46 وإذا محبي قد أَلْظ بمبغضي فكلاهما في البغض مستويان
 ب:52 يا من يلوذ بأهل بيت محمد يرجو بذلك رحمة الرحمن
 ب:53 صل أمهات المؤمنين ولا عنا فتسلب حلة الإيمان
 ب:55 خذها إليك فإنها هي روضة مخوفة بالروح والريحان

الضمير المهيمن:

إذا كانت الضمائر تمثل الأعصاب الدقيقة المتحركة في كل نص إبداعي، فإن الضمير الذي يمثل العصب الحيوي في هذا النص، ويناسب سياق إثبات الذات إزاء طرف شائئ/ مُبغض، هو ضمير المتكلم الذي نجده حاضرا في أبيات القصيدة بكيفية معلنة أو مضمرة، وقد استمد هذا الضمير نسغ قوته من قوة الحبل المتين الذي أوثق علاقة أم المؤمنين بالله الواحد الأحد، وبرسوله المصطفى، وبأمين الوحي جبريل، وبالوالد الصديق.

وما يلفت النظر أكثر أن ضمير المتكلم تبدَّى شاخا وقويا في صيغة (إني) التي تكررت في خمسة مواطن ذات بعد اصطفاي، خُلقي تجلّي في صفات البر، وإحصان الإزار، وطيب الخُلُق، واكتساب صفة أم المؤمنين، وصدق القول، والكرم. وتقوّت هذه الصيغة لما أُرِدَّتْ أربع منها بلام التوكيد. وفي ذلك إشارة قوية إلى إفحام دعوى كل شائئ، ودحض افتراء كل مبغض:

❖ إني خُصِصت...بصفات بر (ب:4)

❖ إني لمحَصَّنة الإزار بريئة (ب:14)

❖ إني لطِيبَة خلقت لطيب (ب:47)

❁ إني لأم المؤمنين (ب:48)

❁ إني لصادقة المقال كريمة (ب:54)

ومما يؤكد حضور هذا الضمير وسريانه في نسيج النص أنه لم تذكر كلمة ذات ثقل مركزي في القصيدة إلا مقرونة بضمير المتكلم، نتقي من ذلك. على سبيل المثال لا الحصر. الكلمات والجمل الآتية:

❁ بيتي (ب:3)

❁ ترائبي (ب:6)

❁ زوجي (ب:7)

❁ صورتي (ب:8)

❁ منزلي (ب:9)

❁ حجتي. براءتي (ب:10)

❁ الله خفرتني وعظم حرمتي (ب:11)

❁ طهارتي. إحصائي (ب:14)

❁ الله أحصنتني (ب:15)

❁ محمد في حجره رباني (ب:18)

هذا فضلا عن تكرار صيغ قوية الوقع تنطوي على قدر كبير من اعتزاز الذات بصدق ذاتها، وقوتها في مواجهة منكر فضائلها، نذكر منها:

❁ البيت بيتي. المكان مكاني (ب:3)

❁ السبق سبقي. العنان عناني (ب:5)

❁ اليوم يومي. الزمان زماني (ب:6)

❁ النصل نصلي. السنان سناني (ب:20)

❖ الفخر فخري (ب: 21).

ولا ريب، فهذا التوظيف المكثف لضمير المتكلم في القصيدة يحمل في طياته إشارة دالة على قوة حُجة أم المؤمنين إزاء شائئها؛ حجة دعائمها صفات برّ خُصّت بها دون سواها، وسبقها غيرها إلى الفضائل كلّها.

على أن الإشارة الذكية التي انفردت بها القصيدة في هذا الخصوص، تتمثل في جعل أم المؤمنين تعتزُّ بها حباها الله به من صفات خُلُقِيّة، لكنها وهي على خُلُق من جعله الله على خُلُق عظيم، وبوَاه سِدرة الأُسوة الحسنة، لم تشأ الافتخار بعلمها، وذاك عينُ تواضعها، يقينا منها. وهي المبرّاة في سورة النور إلى يوم الدين. أن العلم نور، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

كل ذلك، تجلّى في موضعه داخل الأبيات التي أشرنا إلى أرقامها. ونكتفي في هذا المقام بإيراد الأبيات الآتية:

- ب: 4: إني خصصت على نساء محمد بصفت بر تحتهن معاني
ب: 5: وسبقتهن إلى الفضائل كلّها فالسبق سبقي والعنان عناني
ب: 6: مرض النبي ومات بين ترائبي فاليوم يومي والزمان زماني
ب: 14: إني لمحصنة الإزار بريئة ودليل حسن طهارتي إحصاني
ب: 47: إني لطيفة خلقت لطيب ونساء أحمد أطيب النسوان
ب: 48: إني لأم المؤمنين فمن أبى حبي فسوف ييؤء بالخرسان
ب: 54: إني لصادقة المقال كريمة إي والذي ذلت له الثقلان

اعتماد أسلوب العطف لثمتين نسيج النص وضمان انسجام وحداته:

ابتغاء إضفاء وحدة على النص، وضمان تماسكه وتواشج صدوره وأعجازه من جهة، وترابط أبياته، وتطور النفس الشعري نحو مبتغاه من جهة أخرى، كانت وسيلة الربط

المثلى في النص هي أداة العطف (الواو) التي تصدرت عددا من الأبيات حتى لا نكاد نجد بيتا يخلو منها؛ بل إن بعض الأبيات حضرت فيه واو العطف أكثر من مرة، نظرا لتلاحق الأحداث وتسارع وتيرتها كتسارع دقات قلب الذات الشاعرة وهي تسرد المناقب والمواقف الممجدة لأم المؤمنين.

الطباقات والمقابلات: على صعيد أبيات مخصوصة، وعلى صعيد القصيدة
نلفي في القصيدة مقابلات وطباقات تعكس روح القصيدة القائمة على صفتين متناقضتين هما: الحب والبغض.

فمنذ البيت الأول، تطالعنا القصيدة بمقابلة سرى أثرها في باقي الأبيات؛ مقابلة طرفها الأول هداية المحب، وطرفها الثاني ضلال الشانئ (هدي المحب لها وضل الشانئ).

وفي البيت الخامس عشر الإحصان الإلهي في مقابل إذلال أهل الكفر والبهتان. واتسع مدى مقابلة أخرى بين الخيانة والوفاء، فشمّل البيتين الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين:

(ويل لعبدخان آل محمد ≠ طوبى لمن والى جماعة صحبه)

وحوى البيت الخمسون مقابلة أجملت المقصد الأسنى في القصيدة:

طرفها الأول: والله يكرم من أراد كرامتي.

وطرفها المقابل: ويهين ربي من أراد هواني.

أما الطباقات الموظفة في القصيدة، فهي لا تخرج عن تلايب ما ذكرناه من مقابلات، مثاها:

• السر ≠ الإعلان (ب: 22)

• الخوف ≠ الأمان (ب: 43)

✽ حَبْنِي ≠ سَبْنِي (ب: 45)

✽ محبي ≠ مبغضي (ب: 46)

الجناسات:

تزخر أبيات القصيدة بكثير من صيغ التجانس اللفظي أضفت عليها، بانسجام حروفها وتناغم حركاتها، حلة بديعة من براعة استهلالها إلى مسك ختامها. نجد ذلك متحققا في عدة أبيات نذكر منها:

✽ البيت الأول بين كلمات: شان. شاني. الشاني.

✽ وفي البيت السابع بين كلمتي: زوجي. زوجني

✽ وفي البيتين الرابع عشر والخامس عشر بين كلمات: محصنة. إحصاني. أحصني.

✽ وفي البيت الواحد والعشرين بين كلمات: الفخر. فخري. مفخرا.

✽ وفي البيت الثلاثين بين: استبقوا واستباق.

✽ وفي البيتين التاسع والثلاثين والأربعين بين كلمات: بناء. بنيان/ مودة. ود.

✽ وفي البيت الثاني والأربعين بين: سباب وسبب.

✽ وفي البيتين الخامس والأربعين بين: حبني. محبتي. محبي

✽ وفي البيت السادس والأربعين بين: مبغضي والبغض

✽ وفي البيت السابع والأربعين بين كلمات: لطيفة. لطيب. أطيّب.

✽ وفي البيت السادس والأربعين بين أبي ويبوء.

المستوى الموسيقي في القصيدة:

الموسيقى في الشعر ذات شقين: أحدهما مباشر وظاهر يتبدى في النغم المنتظم وهو التفعيلات العروضية. وفي هذا الصدد نجد القصيدة موقّعة على أوتار البحر الكامل؛ وهو بحر من أبرز خصائصه أنه (أكثر بحور الشعر جلبة وحركات. وفيه لون خاص

من الموسيقى يجعله. إن أريد به الجد. فخما جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر، ويجعله إن أريد به إلى الغزل وما بمجره من أبواب اللين والركة، حلوا مع صلصلة كصلصلة الأجراس، ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون نزقا أو خفيفا شهوانيا.⁽¹⁾

أما القافية فهي نون مكسورة ممدودة سبقها مد مفتوح مما أضفى على إيقاعها نفسا مديدا يوازي طول النفس الشعري، وصبر الذات الشاعرة عند استعراض مناقب أم المؤمنين المعروفة بحلمها وطول باعها في عرض حُججها.

والشُّقُّ الثاني خفي وضمني، يدلُّ عليه الجرسُ الموسيقي الداخلي المتولد عن تناغم حركات المفردات والأشطار والقافية، وتكرار حروف بعينها؛ فمن حيث الحركات نجد الكلمات المركزية في النص كلها مكلَّلة بحركة الضمة، وخير مثال على ذلك اسم الجلالة والرسول وجبريل: (اللهُ)/(الإلهُ)، (رسولُ الله)، (محمدُّ)، (المختارُ)، (جبريلُ الأمينُ). وهذا كله في غاية التناسب مع قوة مستند أم المؤمنين وسمو مكانتها.

ومن حيث تكرار الحروف، فإن أبياتا عديدة هيمن على مفرداتها حرف معين أكسبها جرسا متميزا، من ذلك على سبيل المثال ما نلفيه في البيت الأول حيث الحضور القوي ل: الميم، والشين، والنون.

وفي البيت الواحد والعشرين حيث تكررت الفاء والخاء والراء.

وفي البيت السادس والأربعين حيث تكررت الباء والغين والضاد.

وهذه الحروف المكررة، تقوي جميعها بجرسها الموسيقي مضمون القصيدة، وتنسجم مع ما فيه من سُمُو فخر بشأن أم المؤمنين إزاء ضعة بغضٍ شائتها.

أما قيمة المد من حيث الجرس الموسيقي فتتجلى في تناسبه بسمو مكانة أم المؤمنين: (الشاني. لساني. مكاني. معاني. عناني....).

كما أن القصيدة انطوت على ترددات موسيقية متشابهة؛ إذ ضمت أشطرا ذات إيقاع متشابه وإن اختلفت مفرداتها وكلماتها، تجلّى ذلك مثلا في هذه الأعجاز:

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج1 ص246.

فالبيت بيتي والمكان مكاني (ب3)

فالسبق سبقي والعنان عناني (ب5)

فالיום يومي والزمان زماني (ب6)

فالنصل نصلي والسنان سناني (ب20)

كما أن أبياتا عديدة جاء استهلالها باسم الجلالة (الله) كالذي نجده في الأبيات الآتية:
11. 12. 13. 15. 30. 40. 49. 50. 51. مما جعل مطالعها قوية النبر، مشعة بنور اسم
الجلالة الأسنى، وأضفى على مضمونها هالة قدسية تناسب نورانية المقام الأسمى.

هذا فضلا عن تكرار صيغ متشابهة البنية نتج عنه إيقاع متطابق في بيتين متتابعين:
أهل البغي والعدوان (ب27).

أهل الكفر والطغيان (ب28).

وجعل المفردة الأولى والأخيرة في البيت 24 من ذات الجنس (ثانيه. ثان).

وجعل فخامة حرف (الخاء) تتوج عدة مفردات في البيت: 21

والفخر فخري والخلافة في أبي حسبي بهذا مفخرا وكفاني
مثل: الفخر. فخري. مفخرا. الخلافة، مما أضفى على البيت هالة فخر مضاعفة: فخر
الانتماء إلى بيت النبوة، وفخر الانتماء إلى بيت الخلافة. عبر عنها عجز البيت بأبلغ تعبير
(حسبي بهذا مفخرا وكفاني).

ولا شك فهذا التكرار الصوتي المتمثل في حروف بعينها في عدة كلمات على صعيد
بعض أبيات القصيدة، تولد عنه جناس صوتي، علاوة على مؤثرات موسيقية داخلية
أخرى في القصيدة عززت بقوة جرسها ما رصدناه من تلوينات جناسية اشتقاقية
ومتشابهة، وطباقات ومقابلات. وهذا كله حقق لها (القصيدة) انسجاما بين الجرس
اللفظي والموسيقي، وأوجد انسجاما بين اللفظ والمعنى فيها، وأوصل رسالتها

الخاصة التي تشكل جوهرها ومقصدها بلغة شعرية أنيقة تليق بمناقب أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

خلاصة القصيدة:

نخلص مما سبق إلى أن الشاعر كان موفقا لما جعل الشعر ينساب على لسان أم المؤمنين فجعلنا نعيش بكل حواسنا ومشاعرنا معها في كل تفاصيل مراحل حياتها، ورسخ في نفوسنا بذائقتة الشعرية سمو مكانتها التي تجلت في أن الله أكرمها بأربع نعم لم تجتمع لغيرها:

(1) نعمة كونها سليفة بيت الصديق المكرم بصحبة الرسول في الغار.

(2) نعمة نقل جبريل صورتها للرسول الكريم فأحبها وتزوجها.

(3) نعمة سماع الوحي الرباني وهي في حجر النبوة.

(4) نعمة ذكر براءتها في محكم التنزيل.

كما أنه برسوخه العلمي وعلو كعبه الأدبي، انتقى لقصيدته مادة لغوية استمدتها من أسمى منابع اللغة العربية متمثلة في القرآن الكريم والحديث الشريف، فجاءت مناقب أم المؤمنين في حُلَّة تليق بمكانتها؛ وهل في الوجود حلة أسمى من حلة نُسجت بحروف قرآنية وُؤشيت بقبسات حديثية؟!

خاتمة

وبعد، فهذه مساهمة متواضعة بذلت وكدها في سبيل الكشف عن جانب من اهتمام الشعر في الغرب الإسلامي بإبراز الأنموذج الإسلامي في شتى المجالات، ولقد كان تقرير أم المؤمنين عائشة منطلقاً من صميم التعلق بالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، وآل بيته وصحابته صفوة مختارة، وبكل القيم التي غمرت شتى مناحي الحياة لأنها كانت بمثابة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها بإذن ربها.

ومن هنا فالاهتمام بأم المؤمنين هو رد على الصورة الشائعة عن المرأة الأندلسية التي رسمها شعراء الغزل.⁽¹⁾ والتي لا تعكس إلا جانباً يسيراً من الحياة الاجتماعية في تلك العصور؛ إذ في تلك البيئة ظهرت نساء عالمات نهلن من معين أم المؤمنين عائشة خلقاً وتقوى وفقها، وكان لبعضهن إسهام قيم في الحياة العلمية⁽²⁾ ومشاركة فعالة في تدبير شؤون المجتمع⁽³⁾؛ بل إن بعضهن سجلن مواقف سياسية شجاعة كالذي كان من أم أبي عبدالله الصغير لما أثبت ابنها الملك وقد عراه التخاذل والارتباك بقولها:

إيك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال

(1) انظر ما كتبه ولادة بنت المستكفي على عاتقي ثوبها في الذخيرة لابن بسام ج 1 ص 276، وانظر غزليات ابن زيدون في ولادة، ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق علي عبدالعظيم. وانظر فصل (المرأة والحب) في كتاب: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، هنري بريس، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي، ص 347 - 376.

(2) نذكر، على سبيل المثال، أن الإمام ابن حزم حفظ القرآن على يد نساء كن على قدر كبير من الثقافة والعلم، وإلى ذلك أشار بقوله: (ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري لأنني ربيت في حجورهن ونشأت بين أيديهن ولم أعرف غيرهن ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وهن علمنني القرآن وروينني كثيرا من الأشعار ودربنني في الخط...) طوق الحمامة في الألفة والألف/ رسائل ابن حزم، تحقيق: د. إحسان عباس، ج 1 م 1 ص 166.

(3) نذكر، على سبيل المثال، أن قاضي مدينة لوثة كان يستشير زوجته ويستشير برأيها لما يستعصي عليه البث في القضايا المعروضة عليه. انظر نفح الطيب للمقري ج 4 ص 294.

هذه الصورة المشرقة لعلها هي الرسالة التي خلدها كل الشعر المغربي والأندلسي الذي مدح سيد الخلق وآل بيته وزوجاته وصحابته، لتبقى نبراسا لأولي الألباب.

وهذا النوع من الشعر هو تكريم للمرأة المسلمة التي كانت عائشة أنموذجها المقتدى. نظر إليها باعتبارها الأنموذج المحتذى في القيم المكرمة للمرأة المسلمة المتحلية بأخلاق دينها، المؤسسة لقاعدة المجتمع المسلم زمن النبوة.

وفي الاحتفاء بأم المؤمنين إعلاء وتخليد لقيم الإسلام المكرمة للمرأة الشريفة، العالمة، المربية، المجاهدة، الوفية.

والاهتمام بأمهات المؤمنين هو صفحة مشرقة في حياة كل امرأة مسلمة وتكريم لها ورفع لشأنها، وإعلاء لما يرمزُن إليه من طهر، ونبل، وتقوى، وعلم.

توصيات ومقترحات:

ولما كان التثام هذه الندوة المباركة مناسبة سانحة للتعريف بالرسالة التي حملها هذا النوع من الشعر، فإنه لا يسعني إلا أن أدعو الله أن يبارك نتائجها، ويوفق الباحثين إلى الاشتغال بما ينفع الناس ويمكث في الأرض حتى تشرق بنور ربها، وتعيش آمنة مطمئنة.

وغب الانتهاء من إبراز بعض ملامح الصورة التي رسمتها قرائح شعراء الغرب الإسلامي لأم المؤمنين السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وما استطعنا استخلاصه من قيم، نتوج هذا البحث بتقديم توصيات ومقترحات آملين أن تنال القبول الحسن، ويتيسر تنفيذها حتى يعم نفعها:

✽ جمع ما تيسر جمعه من نصوص شعرية مغربية وأندلسية في ذكر فضائل أم المؤمنين عائشة وباقي أمهات المؤمنين، وطبعه ونشره، تكريما لهن خاصة، وللمرأة المسلمة عامة.

✽ الدعوة إلى تخصيص حيز في المقررات الدراسية للتعريف بأعلام النساء المسلمات، عبر مختلف العصور.

- ❖ اقتراح تنظيم لقاءات وندوات ومحاضرات حول القيم الإسلامية الهادية إلى الصراط المستقيم التي جسدها أمهات المؤمنين ونساء الصحابة الكرام فكرا وسلوكا ومعاملات.
- ❖ دعوة الشعراء المؤمنين برسالة الإسلام إلى استثمار قيمها في قصائدهم بالكيفيات والأساليب المناسبة لفئات المتلقين في عصرنا.
- ❖ الاهتمام بإبراز بطولات المرأة المسلمة وإنجازاتها في مختلف العصور حتى تكون مثالا وقدوة لبنات المسلمين في قوة الشخصية، والاستقامة الخلقية، والاستماتة في الحصول على أرقى الدرجات العلمية.
- ❖ التعريف بالمناسبات والوقائع والأحداث التاريخية التي كانت للمرأة المسلمة عامة والمغربية خاصة فيها مواقف بطولية رائدة، تقوية للعزائم، وترسيخا للقيم، وتمتينا لعُرى الهوية الوطنية والانتماء الديني.

قائمة المصادر والمراجع

- (1) القرآن الكريم.
- (2) أبو الربيع سليمان بن موسى ابن سالم الكلاعي . حياته وآثاره . تأليف: الأستاذة ثريا هي . الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية - 1414 هـ - 1994 م.
- (3) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقري (ج3). ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا وإبراهيم الإياري وعبدالحفيظ شلبي الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب.
- (4) الاستيعاب في أسماء الأصحاب للإمام الحافظ أبي عمر بن عبد البر ج2. الناشر: مكتبة مصر (بدون تاريخ).
- (5) الدرة السنية في المعالم السنية . المعلم الرابع في السيرة النبوية والأعلام المحمدية لابن المناصف . تحقيق: عبد القادر الشرقاوي . أطروحة مرقونة . مكتبة كلية الآداب - تطوان.
- (6) ديوان حسان بن ثابت . تحقيق: سيد حنفي حسنين . الناشر: دار المعارف - مصر 1983 م.
- (7) ديوان ابن زيدون ورسائله . شرح وتحقيق: علي عبدالعظيم . الناشر: دار نهضة - مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- (8) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني . تحقيق: د. إحسان عباس . الناشر: دار الفكر - بيروت .
- (9) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبدالله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي . تحقيق: د. إحسان عباس . الناشر: دار الثقافة - بيروت .
- (10) رسالتان في السيرة النبوية والمولد الشريف لأبي جعفر الرعيني ورفيقه ابن جابر . تقديم وتحقيق: مصطفى بن مبارك عكلي التمكروتي . الناشر: الرابطة المحمدية للعلماء . مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة - العرائش . الطبعة الأولى، ربيع الأول 1432 هـ / فبراير 2011 م.

- (11) رسائل ابن حزم (رسالة طوق الحمامة). تحقيق: د. إحسان عباس (المجلد الأول). الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ط2/ 2007م.
- (12) الروض الأنف للإمام أبي القاسم عبدالرحمن الخثعمي السهيلي (ت581هـ) ومعه السيرة النبوية لابن هشام. (الجزء الرابع). تحقيق: عبدالله المنشاوي. الناشر: دار الحديث - القاهرة. 1428هـ. 2008م.
- (13) الشعر الأندلسي في عصر الطوائف. تأليف: هنري بيريس. ترجمة: د. الطاهر أحمد مكي. الناشر: دار المعارف - القاهرة، ط1/ 1408هـ 1988م.
- (14) الصحابة الكرام في تراث المغاربة والأندلسيين (مجلدان). الناشر: الرابطة المحمدية للعلماء - مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث. سلسلة: ندوات ومحاضرات (3). الطبعة الأولى: 1431هـ 2010م.
- (15) صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (261.206هـ). الناشر: دار الاعتصام - مصر سنة 2008م.
- (16) عائشة والسياسة. تأليف: سعيد الأفغاني. دمشق 1947م.
- (17) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ). دار الحديث - القاهرة. طبع سنة 1998م.
- (18) ضبط فهارسه: محمد فؤاد عبدالباقي. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. ط2/ 1418هـ 1997م.
- (19) فتح المتعال في مدح النعال للمقري. تحقيق: عبدالسلام بلديريس. أطروحة مرقونة . مكتبة كلية الآداب - تطوان.
- (20) فهرس ابن خير الإشيلي، طبع بيروت 1963م.
- (21) قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب أم المؤمنين الصديقة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي. الناشر: مكتبة التوبة، ط1/ 1418هـ 1998م.
- (22) القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. محمد صالح يعقوبي. الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط1/ 1432هـ 2002م.
- (23) مجلة دعوة الحق (المغرب) رائية أبي سالم الكلاعي، دة. حياة قارة، العدد: 298/ محرم 1414هـ/ يوليو 1993م.

- (24) مجلة المناهل (المغرب) قصيدة الواعظ الأندلسي، ذ. عبدالله كنون، العدد: 6 / رجب 1396 هـ يوليو 1976 م.
- (25) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها (المجلد الأول). تأليف: د. عبدالله الطيب. الناشر: الدار السودانية - الخرطوم. ط2 / 1970.
- (26) ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة، تقييد أبي عبدالله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي (ت 721 هـ) الجزء السادس. تقديم وتحقيق: الشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة. الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط1 / 1408 هـ 1988 م.
- (27) نصوص أم المؤمنين في الشعر والنقد. جمع وتوثيق وتقديم: د. حسين زروق. الناشر: مكتبة أم سلمى - تطوان.
- (28) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني. تحقيق: د. إحسان عباس. الناشر: دار صادر.